مجلة كلية الآداب بقنا (دورية أكاديمية علمية محكمة)

أفعال الكلام في شعر معروف الرصافى: دراسة تداولية

عبدالله محمد عبدالله بركه

مقيد ومسجل بالدراسات العليا في قسم اللغة العربية – كلية الآداب – جامعة جنوب الوادي

د.صلاح محمد أبوالحسن مكي

أستاذ مساعد في قسم اللغة العربية – كلية الالسن – جامعة الأقصر

د. بخيته حامد ابراهيم محمد

أستاذ مساعد في قسم اللغة العربية – كلية الآداب – جامعة جنوب الوادي

DOI: 10.21608/qarts.2024.255083.1833

مجلة كلية الآداب بقنا – جامعة جنوب الوادي – المجلد (٣٣) العدد (٦٣) أبريل ٢٠٢٤

الترقيم الدولي الموحد للنسخة المطبوعة ISSN: 1110-614X

الترقيم الدولي الموحد للنسخة الإلكترونية ISSN: 1110-709X

موقع المجلة الإلكتروني: https://qarts.journals.ekb.eg

أفعال الكلام في شعر معروف الرصافى: دراسة تداولية

الملخص:

يتكون هذا البحث الذي يحمل المعنون بـ (أفعال الكلام في شعر معروف الرصافى: دراسة تداولية) من مقدمة تحدثت فيها عن اللغة العربية وجمالها وتطورها وتنوع فروعها عبر السنين ثم عرضت أسباب اختياري لهذا الموضوع والتي تكمن في رغبتي في البحث في هذا المجال، وقلّة الدّراسات المهتمّة بتطبيق آليات أفعال الكلام على الشعر من جهة، وإثراء رصيدنا المعرفيّ من جهة أخرى، وقمت بالتعريف للتداولية عند العرب بحسب ما وردت في استعمال العرب وعرض آيات القرآن التي ورد فها أصل كلمة التداولية وهي مادة دول تبعه عرض لإسقاط هذا المفهوم التّداوليّ على شعر الرصافي وعرض للدراسات السابقة له وما تميز به البحث عن تلك الدراسات التي سبقته مع ذكر المنهج المتبع في البحث وهو المنهج الوصفي التحليلي الذي يتناسب مع موضوع البحث ثم عرض التمهيد الخاص بالشاعر معروف الرصافي بينت فيه نشأته وثقافته وتأثيره على مجتمعه مع عرش مجموعة من اشعاره التي تبرز مدى موهبته في الشعر ثم التحدث عن ظاهرة التداولية لغة واصطلاحا وبيان أهم اسهامات علماء العرب القدا مى أمثال سيبويه والجرجاني والسكاكي وذكر لأهم اسهامات اللغويين المعاصرين أمثال أحمد المتوكل ومعروف صحراوي وختم البحث بذكر لأهم المراجع والمصادر المتنوعة بين القديم والمتوسط والحديث .

الكلمات المفتاحية: أفعال الكلام ، شعر معروف الرصافى ، التداولية.

المقدمة

الحمد الله الذي حمد ذاته بذاته قبل أن يحمده الحامدون, وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن نبينا محمدا عبد الله ورسوله الصادق المأمون . وبعد

فإن اللغة العربية أجمل اللغات الحية , وأكثرها بيانا وأسماها منزلة لما لا, وهي قد حملت كتاب الله القرآن الكريم معجزة كل الأزمان ,واللغة العربية تحمل من البيان والفصاحة ما يجعلها فريدة بين اللغات وقد اعتنى العرب باللغة كثيرا فقعدوا لها العديد من القواعد النحوية والصرفية والبلاغية والدلالية من أجل النهوض بها والكشف عن الغوامض التي تخفى على الأعاجم بعد اختلاط العرب بغيرهم نتيجة الفتوحات الإسلامية مما أدى لظهور اللحن فبدأ العرب مرحلة التدوين للعلوم حفاظا على لغتهم من اللحن أو الفهم الخاطئ لبعض الآيات نتيجة القراءة غير الصحيحة واستمرت النهضة العربية في شتى فروع اللغة مما يجعلنا نعترف بأن ما وصل إليه علماء اللغة في أي مكان ما هو إلا تكملة أو تنسيق لقواعد لغتنا العربية فما من نظرية أو بحث علمي يخص اللغات عموما إلا وتجد له جذور عربية مأخوذ منها .

لقد تقدمت الدراسات اللغوية تقدما عظيما تخطى جانب الألفاظ ودلالتها ليشمل البيئة والحالة النفسية والدوافع واختلطت العلوم اللغوية بعلوم البلاغة والأدب والفلسفة كما تعددت الدراسات اللغوية الحديثة وجاءت كل نظرية بما هو جديد عن سابقتها وعالجت القصور لدى أختها ومن ضمن النظريات التي شهدت تطورا في عصرنا الحديث نظرية التداولية وأفعال الكلام التي ينصب بحثنا على شرحها وتطبيقها على الشعر العربي.

حدود الـدِّراســة:

هو اِستثمار مفاهيم الأفعال الكلامية في تحليل الشعر ومنه جاء موضوع الدّراسة متعلّقًا بتوظيف تلك الدراسة في (شعر الرصافي) من أجل معرفة الأفعال الكلامية الواردة

في خطاب الشاعر بمختلف أنواعه من خبر وإنشاء ويندرج موضوع البحث على نحو ما هو مُتشكل في العنوان الآتي:" أفعال الكلام في شعر معروف الرصافي دراسة تداولية".

أسباب اختيار الموضـوع

يكمُن في رغبتي في البحث في هذا المجال، وقلّة الدّراسات المهتمّة بتطبيق آليات أفعال الكلام على الشعر من جهة، وإثراء رصيدنا المعرفيّ من جهة أخرى، وإسقاط هذا المفهوم التّداوليّ على شعر الرصافي؛ من خلال تقصّي الأفعال الكلاميّة الواردة فيه ودراستها وصْفًا وتحليلا.

منهــج الـدِّراســة :

وقد اِعتمدت في هذه الدّراسة على المنهج الوصفيّ بإجراء تحليلى الذي يستند أساسًا على آليات المنهج التداوليّ كون الدراسة قائمة على أساس البحث في سياقات الخطاب ومقاصد المتكلم؛ من خلال الوقوف على الأفعال الكلاميّة الواردة في شعر الرصافي وتحليلها لُغويا (تداوليًّا) وقد جاءت طريقة التحليل كالتالي :

أولًا: توضيح السياق العام للقصيدة وذلك من خلال معرفة الغرض والهدف من قولها .

ثانيًا : تحليل اللغوي للقصيدة وذلك عن طريق توضيح الأفعال الكلامية التي تتشكل من أربعة أفعال وهي :

أ- الفعل الإسنادي أو النحوي : الذي يوضح لنا سلامة الفعل الكلامي لغويا وصوتيا .

ب- الفعل الإحالي : الذي يشمل أسماء الأعلام و الضمائر و الأمكنة.

ج- الفعل الدلالي : و يتمثل في الدلالة العامة للأبيات .

د- الفعل الإنجازي الذي يحدد من خلاله نوعية الفعل الكلامي من حيث الغرض الإنجازي.

هدف الـدِّراســة:

تهدف الدراسة إلى الكشف عن ألافعال الكلامية في شعر الرّصافيّ وذلك في ضوء نظرية ألافعال الكلاميّة عند "ج. سيرل"، وتناولت القوة إلانجازية للأفعال الكلاميّة.

الدراســات الســابقة :

٢- أفعال الكلام في شعر محمود درويش-نماذج مختارة-(أطروحة ماجستير).إعداد الطالبتين رانيا حجام وعفاف تدرانت ؛ إشراف الأستاذ الدكتور: هشام بلخير العام الجامعي: ٢٠١٩/ ٢٠٢٠.

وقد تميز بحثي عن تلك الأبحاث بالدراسة التفصيليَّة لكل ألأبيات داخل قصائد الديوان مع تعدد الأفعال الكلاميَّة وليس التركيز على الانتقاء العشوائي للشاعر؛ وتذييل كل قصيدة من قصائد الديوان بنتائج التحليل لها مع ذكر السياق المقاميّ قبل التحليل .

خـطة الـدِّراســة

جاء البحث في مقدّمة ، وتمهيد ، ومطلبين، وخاتمة ؛على النحو التالي:

المقدمة : وتشتمل على : مجال الدراسة ، وأسئلة الدراسة ، وأسباب اختيار الموضوع ، ومنهج الدراسة ، أهمية الدراسة ، وهدف الدراسة ، وصعوبات الدراسة ، والدراسات السابقة، وخطة الدراسة.

التمهيد : ويتناول: التعريف بالشاعر معروف الرصافي و نشأته وطباعه وأسلوبه ومؤلفاته وبعضا من شعره وذكراه .ثم يأتى الموضوع: التّداوليّة عند العلماء العرب. الأفعال الكلاميّة عند العلماء العرب (علم المعاني).

التمهيد : الشاعر معرُوف الرُّصافيّ

مولدهُ ,ونشأتهُ:

هو معروف بن عبد الغني بن محمود الرُّصافيّ [١] ، وُلدَ ببغداد ونشأ بهاوتحديدا في الرّصافة عام (١٢٩٢ هـ – الموافق لعام ١٨٧٥م) – ينتسب إلى العشيرة الجباريةالتي اشتُهرت بكرديتها ، وأمّه " فاطمة بنت جاسم" عربيّة من عشيرة "القراغول"من أسرة متوسطة الحال ولكنها عريقة الأصل والنسب.[٢] ولد " الرصافي" لأبوين فقيرين ، وشبّ كالأيتام ؛ إذ لمْ يكن يرى والده إلَّا قليلا ؛ لكثرةأسفاره ، وتغيبه عن البيت ، إذ كان يعمل جنديا في شرطة الأرياف بعيدًا عن مدينة بغدادمما أضعف الأثر الأبوي في نفسه ، فاتجهت عاطفته صوب جده لأمه "جاسم" وتعلق بأمِّه التي قامت على رعايته وكانت مرجعا إليه في كل شئونه.[٣]

نشأ "الرّصافيّ" نشأة المعاناة والحرمان ، وعاش يُقاسى آلامَ الفقرِ أيام طلب العلم مما اضطره للبحث عن مورد يدر عليه المال ، فاشتغل بالتّدريس وكان لضيق ذات يده وعُسْره يشعر بالحرجِ حين يختلطُ بذوي اليسار من الناس ، فقنع بالقليل ، ورضي بالكفاف.

---

[١] – (الرصافي) نسبة إلى الرصافة ، وأول من سماه الرصافي أستاذه / السيد محمود شكري الألوسي وذلك بعد أن قدم الرصافي لكتاب "بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب" وصدره ببعض الأبيات وكتب تحتها " معروف " فلما شاهد الألوسي ذلك أعجب به إعجابا ، وقال :اكتب بعد اسمك الرصافي لأنك معروف الرصافة ، والكرخي معروف الكرخ ، ينظر د / يوسف عز الدين : الرصافي يروي سيرة حياته – دار المدى للثقافة والنشر ط١ – ٢٠٠٤ – صـ١٠

[٢] – خير الدين الزركلي : الأعلام – دار العلم للملايين– بيروت لبنان – ط٨ – ١٩٨٩– جـ ٧– صـ ٢٦٨

[٣] – الحسيني هاشم : معروف الرصافي شاعر الحرية والعروبة . طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر – ٢٠٠٦ – صـ ١٧

طباعه وأخـلاقه:

لقد كان " الرصافي" حاد الطباع ، عصبيّ المزاج ، سريع التأثر لا بد لمن يعاشره كما أخبر صديقه "خالد حافظ" أن يبتعد عما يغضبه ، أو يثير حفيظته ,وأنه ما عدا ذلك فهو في غاية الرقة ، وحسن المعاشرة ، وخفة الروح ، ومحبة الصديق ، كما كان رءوفا بالفقراء محبا للخير ، أبيا لا يقبل الضيم،يفضل الحرمان على العافية ، تهزه المفارقات وتؤثر فيه المواقف ، وبخاصة فيما يتصل منها بالإنسان وظهر ذلك في أشعاره ,ويكون الموقف مما يكشف عن شقاء البائسين أو نكبات المنكوبين ، كان لسان العصر الذي عاش فيه وصوت الشعب الذي أنجبه ، يفدي الوطن ، ويتألم لحاله ، و يقارع لأجله البغاة والطغاة من الحكام الجائرين بلا لين ولا هوادة كانت الثقة في من يحب من أبرز صفاته.[٤]

ثقافتـه :

لقد كانت ثقافته عربية خالصة ، حيث تعلم مبادئ العلم ، وحفظ القرآن الكريم ثم التحق بالمدرسة "الرشيدية" العسكرية لكن لصعوبة الدراسة فيها ، ونظامها الصارم نفر منها عند أول رسوب له ،ثم اتجه إلى التعليم الحر، في مدرسة أستاذه " محمود شكري الألوسي" صاحب " بلوغ الأرب" ولازمه فيها أكثر من اثنتي عشرة سنة ، وقد كان خلالها الطالب المتعطش إلى المعرفة الساعي للتحصيل العلمي الواسع ، وكان العلماء يومئذ قادة التعليم ومنهم كانت تؤخذ الإجازات العلمية ، فتخرج على يد أستاذه

[٤] – ينظر : بدوي طبانة : الرصافي حياته وبيئته وشعره – مكتبة الأنجلو المصرية – مصر – ط٢– ص ٧٠ وما بعدها.

"الألوسي" وعمل في حقله مدرسا ، وكان نعم التلميذ نجابة وإخلاصا .[٥]

مؤلفاتـــه:

كتب الرّصافيّ العديد من الكتب التي خلدت ذكراه منها :

١- " كتاب دفع الهجنة في ارتضاخ اللكنة " وهو عبارة عن كتاب جمع الشاعر فيه العديد من الكلمات التي استخدمها الأتراك في لغتهم ويصل عددها بحسب رأيه ٣٩٨ كلمة عربية .[٦]

٢- "كتاب نفح الطيب في الخطابة والخطيب " تحدث فيه الرصافي عن الخطابة وقوامها والخطبة والوصية وذلك بعد قراءته لكتاب البيان والتبيين للجاحظ محولا إكمال النقص في الكتب كما علق أيضا على بعض الأمثلة .[٧]

٣- "كتاب الآلة والادارة " وهو كتاب لغوي مكون من مائتي صفحة.

٤- "رسالة في الادب العربي "وهى عبارة عن مجموعة محاضرات في تاريخ أدي اللغة العربية التي ألقاها الرصافي عندما كان مفتشا للغة العربية .

٥- "آراء لأبي العلاء " وهي عبارة عن رسالة جمع فيها الآراء الفلسفية لأبي العلاء المعري التي وردت في لزومياته حيث تكلم عن تسع وتسعين مسألة تهم أهل العلم.

٦- "ديوان الرصافي " وهو مجموع ما قاله الرّصافيّ من شعر ويتكون من جزئين في مجلد واحد طلبع على مرحلتين في بيروت سنة ١٩٠٨ تم طبع الجزء الأول وفي سنة

---

[٥] – ينظر: – خير الدين الزركلي : الأعلام ج٧ – ص٢٦

[٦] – ينظر : معروف الرصافي – كتاب دفع الهجنة في ارتضاخ اللكنة – مكتبة نور – ٢٠٢١م –

[٧] – ينظر : معروف الرصافي– كتاب نفح الطيب في الخطابة والخطيب– مطبعة الفكر القرآني – ط١ – ٢٠٢١م

١٩٣١ تم طبع الجزء الثاني مع تجريده من الشعر الذي لا يرضي رجال الحكم وهناك جزء ثالث غيرمطبوع .[٨]

تأثيره في المجتمع:

لقد ترك " الرّصافيّ " في المجتمع من حوله أثرا كبيرا ، وصدى عميقا إذ تمكن بعمق إنسانيته من رسم الصورة الواقعية لحياة مجتمعه العراقي وصور معاناته ، و هزت قصائده مشاعر العراقيين (و كان همه الأول أن يوقظ الناس من غفلتهم فيتطلعوا إلى الوجود تطلع أحياء ويخرجوا من الجمود إلى الحركة ومن الخمول إلى العمل الذي ينفع ويرفع .[٩]لا يختلف عليه اثنان في إحلاله منزلته من حيث تسجيله لأحداث عصره التي اصطدمت،والمشاعر التي اضطرمت في نفوس العراقيين ، والعرب جميعا في هذا العصر الزاخر بالحوادث والأحداث، وكان بحق مجموعة طريفة من العقل والأدب والذوق والذكاء وهو من أثمن ذخائر العراق ، اهتم بمصالح الأمة ، ودعا وناضل من أجل الحريات وندد بمساوئ القهر والاستبداد .[١٠]

ولم يكن شعره شاهدا على عصره المفعم بالصراع والأحداث المثيرة في العراق والوطن العربي كله فحسب ، بل كان دليلا على وعي صاحبه بأساليب الاستعمار وروحه يمثل في العراق يقابل نفس الدور الذي يمثله الشعر المصري "حافظ إبراهيم" في مصر،حيث إن كليهما شاعر اجتماعي ، وكليهما صورة لشعبه بيقظته وإنسانيته وكليهما استمد من الروح الإنسانية عطفا على الفقراء والمعوزين ، وكليهما أخلص لأمته إخلاص الدعاة الورعين ، وإن كان وصف " الرّصافيّ " للبؤس والبؤساء منقطع النظير

---

[٨] – محمد أمين زكي : مشاهير الكرد وكردستان – مطبعة التفيض الأهلية – بغداد– ١٩٤٥م – ط٢– ص ١٩٦ وما بعدها.

[٩] – حنا الفاخوري: الموجز في الأدب العربي وتاريخه– دار الجيل بيروت – د ت – جـ ٤– – ص٥٧٤

[١٠] – ينظر : يوسف عز الدين : الرصافي يروي سيرة حياته – ص ٢٧٨

ولذا لم يكن عجبا أن يموت " الرّصافيّ " وقد أتيحت له فرص عديدة للثراء دون أن يقتني منزلا يسكنه ، أو يترك كفافا من المال لذوي قرابته، ولم يفعل "حافظ" مثل ذلك، بل نشأ كلاهما وعاش ،ومات فقيرًا ..

موقفه من ولاة الأمر:

ومن أكثر ما يميز "الرصافي" على نظرائه الصراحة الجريئة ، والاستهتار البالغ، فقد كان يعيش ليومه وينطلق على سجيته ، ويخضع لغريزته ، فيفعل ما يشاء ويقول ما يعتقد ويطلب ما يشتهي ، ثم لا يبالي أين يقع ذلك كله من رأي غيره .[١١]

فقد كان شعلة متحررة ينادي في كل مناسبة بتحرير الشرق ، دون ضعف ولا استكانة معارضًا الحكّام في كثير من الأمور طامحًا في طلب الحرية .

تأثير الرصافي في المجتمع العراقي :

للشعراء دور كبير في التأثير على من حولهم ومجتمعاتهم وهذا ليس ببعيد عن "الرصافي " فقد تمكن بعمق إنسانيته من رسم الصورة الواقعية لحياة المجتمع العراقي وصور معاناته ، و هزت قصائده مشاعر العراقيين وغير العراقيين ممن سمعوا وقرأوا شعره " وكان همه الأول أن يوقظ الناس من غفلتهم فيتطلعوا إلى الوجود تطلع أحياء ويخرجوا من الجمود إلى الحركة ومن الخمول إلى العمل الذي ينفع ويرفع"[١٢] فكان واصفا لأحداث عصره التي اصطدمت، والمشاعر التي اضطرمت في نفوس العراقيين ، والعرب جميعا في هذا العصر الزاخر بالحوادث والأحداث، وكان بحق مجموعة طريفة من العقل والأدب والذوق والذ كاء وهو من أثمن ذخائر العراق ، أحسن العناية بمصالح

---

[١١] – ينظر : يوسف عز الدين :الرصافي يروي سيرة حياته – ص ٣١٨

[١٢] – حنا الفاخوري :الموجز في الأدب العربي وتاريخه– دار الجيل بيروت – د ت – جـ ٤– ص ٥٧٤

الأمة ، ودعا وناضل من أجل الحريات وندد بمساوئ القهر والاستبداد الذيعانى الشعب العراقي ويلاته .[١٣]

الجانب الإنساني عند الرصافي :

لقد تجلت في أشعار"الرصافي" الكثير من المشاهد والصور الإنسانية المستمدة من صميم الواقع ,والتي تعبر عن المجتمع ، وتكشف عن جراحه وأحزانه في وصف يذوب عاطفة ، ويتقاطر رحمة وإنسانية فقد عرض في شعره صورة مجسمة لطبقات المجتمع من اليتامى والأرامل ممن وقعوا فريسة للإذلال والفقر، فيرسم لوحة بائسة لأرملة مرضعة بلغ منها الفقر والجوع المدى ، حتى عجزت عن إرضاع طفلتها ، فتحركت فيه دوافع الإنسانية وتمكن بفضل حسه الرقيق أن يصفها وصفا بارعا .

الأسـلوب الشـعري :

ينتمي الشاعر لمدرسة الإحياء والبعث أو ما يسمى بمدرسة المحافظين وقد امتاز أسلوب "الرصافي" بالاستقلال الفني ، من السهولة والوضوح ، كما امتازت لغته بالعذوبة والرقة والسلاسة، وإذا تساءلنا عن سر هذا الاستقلال الفني وجدناه يكمن في محاولة الشاعر إيصال رسالته و فلسفته إلى الناس بأوضح عبارة [١٤]

نماذج من شعره:

يقول الرصافي ناصحا قومه :

بني الأرض هل مِن سامع فأبثَّه حديث بصير بالحقيقة عالم

جُبلنا على حبّ الحياة وإنها مخيفة أحلام أطافت بحالم

---

[١٣] – **ينظر: يوسف عز الدين : الرصافي يروي سيرة حياته – ص ٢٧٨**

[١٤] – **ينظر: محمد عبد المنعم خفاجي : دراسات في الأدب العربي الحديث ومدارسه – دار الجيل بيروت – ط ١ – ١٩٩٢ م– ج١ – ص ١٥١**

سعى الناس والأقدار مخبوءة لهم وناموا وما ليلُ الخطوب بنائم[١٥]، وانظر إلى قوله واصفا حريقا بتركيا :

قعدَتْ بقارعةِ الطّريقِ تنوحُ والطفلُ يجذِبُ رُدنها ويصيحُ

تَبكِي وقدْ ضحكَ الحريقُ بدَارِها كالبرقِ يضْحكُ في الدُّجى ويلوحُ

ضحيت وقد قلص الظلال فوجهها للشمس في وجناته تلويح

جَرَّ الحريقُ على الدِّيار ذيولَه فجَري لذلك دمعُها المسفوحُ

وقال أيضا في أهمية طلب العلم وضرورة بناء المدارس لتعليم النشء:

كفى بالعلم في الظلمات نورا يبيّن في الحياة لنا الأمورا

فكم وجد الذليل به اعتزازًا وكم لبس الحزين به سرورا

تزيد به العقول هُدًى ورشدًا وتستعلي النفوس به شعورا[١٦]ولو أردت دقة التعبير ، وروعة الأداء فانظر لشعره الذي يصور حال الضحايا , والمنكوبين ، وقد مكنته تلك العاطفة من النفاذ إلى الأعماق عن طريق وصفه لأرملة جائعة تريد أن تطعم صغيرتها فقال :

لقيتها ليتني ما كنت ألقاها! تمشي وقد أثقل الإملاق ممشاها

أَثوابُها رثَّةٌ والرِّجْلُ حافيةٌ والدمع تذْرفه في الخدِّ عيناها

بكت من الفقر فاحمرَّت مدامعها واصفرَّ كالوَرْس من جوعٍ مُحياها

مات الذي كان يحميها ويسعدها فالدهر من بعده بالفقر أشقاها.[١٧]

وقال أيضا : عندما احتل الإنجليز العراق سنة ١٩٢.م، سرعان ما نصبوا فيصل ملكاً على البلاد وأصدروا دستورا وأنشئوا برلمانا مزيفين وأصبحت أمور البلاد بأيديهم ثار الشعب العراقي وثار الرصافي معهم حيث أنشد قصيدته التي جاء فيها:

---

١٥ – الديوان – ص ٢٠٥

١٦ – الديوان – ص ٨٩

١٧ – الديون– ص ٣٠٣

علم ودستور ومجلس أمة كل عن المعنى الصحيح محرف

أسماء ليس لنا سوى ألفاظها أما معانيها فليست تعرف

من يقرأ الدستور يعلم أنه وفقا لصك الانتداب مصنف

وفاتـــه :

عندما بلغ "الرصافي" السبعين من عمره أصيب "بذات الرئة" فلم يستطع مصارعة المرض كما صارع أحداث الحياة فلقي ربه صباح يوم الجمعة السادس عشر من مارس سنة ١٩٥٤ م بعد أن أعلن نبأ وفاته في الإذاعة العراقية وقبل أن يتمكن الكثير من أتباعه ومحبيه من تشييع جثمانه سار نعشه في موكب متواضع لا يحفه إلا أخلص خلصائه وأوفيائه.[١٨]

ذكـــراه :

بني لهُ تمجيداً لذكراه تمثالا برونزيا في الساحة المقابلة لجسر الشهداء عند التقاطع مع شارع الرشيد المشهور قرب سوق السراي والمدرسة المستنصرية الأثرية. وبعد وفاته قد رثاه الكثير من الشعراء ونعوه منهم الشاعر"محمد صالح بحر" العلوم الذي قال فيه:

شاعر هذا النيل أيتمت أمة بغير افتقاد الحر لم تتيتم

تحررت من قيد الحياة وعفتها لرهط بلا قلب يعيش ولا فم.[١٩]

---

[١٨] – ينظر: عبد الوارث الحداد : معروف الرصافي بين الأصالة والمعاصرة – مطبعة السعادة – دت – ص٥٠

[١٩] مصطفى علي : الرصافي صلتي به – جامعة الدول العربية – القاهرة– ط١ – ١٩٥٤– ص٣٤

التداولية بين المفهوم والنشأة

ويتكون من مطلبين :

التداولية عند العرب

يعدّ مفهوم التداولية من أهم المفاهيم الحديثة التي شدّت اِنتباه الدارسين والباحثين لاسيما في العقود الثلاثة الأخيرة، فتضاربت الآراء حول تحديد هذا المصطلح بسبب اِختلاف المذاهب ووجهات النظر فيه، إذ ليس من اليسير أن نضع إطارا نظريا مقنعا للتداولية[٢٠]

المعنى اللغوي للتداولية بالمعاجم العربية :

ورد في معجم الصحاح للجوهري أن أصل التداولية من حيث الاشتقاق مأخوذ من مادة (دول) –" الدَّوْلة في الحرب أي تدال إحدى الفئتين على الأخرى , يقال كانت لنا عليهم.

أما الدُّولة : في المال يقال صار الفيء دُولة بينهم يتداولونه يكون مرة لهذا ومرة لهذا والجمع دُولات ودُول وقال أبو عبيد: الدُّولة اسم الشيء الذي يُتداول به بعينه وقال بعضهم الدَّوْلة و الدُّولة لغتان بمعنى واحد وقال أبو عمرو بن العلاء : الدُّولة في المال ,و الدَّوْلة في الحرب "[٢١]

٢٠ – ريم فرحان عودة المعايطة : براجماتية اللغة و دورها في تشكيل بنية الكلمة،– دار اليازوري . الدار العلمية للنشروالتوزيع– لبنان – دط– ٢٠٠٨– ص٥

٢١– الجوهري – الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية – تحقيق أحمد عبدالغفور عطا – دار الآفاق للنشر – ط ٤– ١٩٨٧م– مادة (د– و– ل).

وورد في مقاييس اللغة " أن الدال والواو واللام أصلان : أحدهما يدل على تحول الشيء من مكان إلى مكان والآخر يدل على ضعف واسترخاء فأما الأول فقال أهل اللغة اندال القوم إذا تحولوا من مكان إلى مكان ومن هذا الباب تداول القوم الشيء بينهم"[٢٢]

وبالنظر إلى ما ذكره الفيروز آبادي حول معنى التداولية نجد ما يلي :

"تَدَاوَلُوه: أخذوه بالدُّوَلِ . ودَوَالَيكَ، أي: مُدَاوَلَة على الأمر أو تَدَاوُل بعد تَدَاوُل "([٢٣])

من خلال ما ذُكر آنفا في بعض المعاجم العربية حول معنى التداولية لغويا توصلنا إلى أنها لا تخرج عن سياق الدلالات التالية :

١- تناوب وتعاقب القوم عن الأمر. ٢- انتقال المُلك أو المال من قوم إلى قوم .

٣- التحول من مكان إلى مكان أو من حال إلى حال .

ومن هنا نضع أيدينا حول ماهية لفظ التداولية من خلال ما ورد بمعاجمنا العربية الذي يدور حول التحول والتغير يمكن ربطه بحال اللغة فهى كذلك متحولة ومتغيرة حسب حال المتكلم أو حال السامع وهذا ما ذكره خليفة بوجادي حيث ذكر " كان مصطلح التداولية أكثر شيوعا – بهذه الدلالة – من المصطلحات الأخرى كالذرائعية النفعية السياقية وغيرها".[٢٤]

فعندما تنتقل اللغة من حال لحال آخر من المتكلم إلى السامع يسمح لها بتحقيق التواصل اللغوي.

٢٢- أحمد ابن فارس : مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل (بيروت، لبنان)، دط، دت، المجلد ٢- ص ٣١٤.

٢٣ - الفيروز آبادي : القاموس المحيط، تحقيق: أبو الوفا نَصرُ الهُوريني المصري الشافعي دار الكتاب الحديث (القاهرة، الكويت، الجزائر)، دط، دت، ص ١٠١٤.

٢٤ - خليفة بوجادي : في اللسانيات التداولية: مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة للنشر والتوزيع (العلمة، الجزائر)، ط ١, ٢٠٠٩ ص ١٤٨.

ولكي نستزيد معرفة حول مفهوم التداولية في اللغة العربية يمكننا البحث حول لفظ التداولية بالقرآن الكريم كي نتوصل لمعناها الدقيق نظرا للاهتمام الكبير الذي تعتني به الأبحاث العلمية حول المصطلحات لأن ضرورة تحديد اللفظ له دور فعال في بناء النظريات والمناهج العلمية فـ " التحكم في المصطلح هو تحكم في المعرفة المراد إبلاغها ,والقدرة على ضبط أنساقها"[٢٥]

التداولية في القرآن الكريم:

من الحقائق الجلية التي لا تخفى على أي مؤمن أن القرآن الكريم أفضل كتاب استخدم الألفاظ ببراعة يعجز عنها البشر وذلك يدعونا للبحث حول لفظ التداولية بالقرآن كي نقف على معنى اللفظ والبداية مع قوله تعالى:

إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ "[٢٦]

يقول القفال إن الأصل في المداولة : " نقل الشيء من واحد إلى آخر، يقال: تداولته الأيدي إذا تناقلته ومنه قوله تعالى ﴿ كَيْ لا يَكُونَ دُولَة بَيْنَ الاغْنِيَآء مِنكُمْ ﴾ أي تتداولونها ولا تجعلون للفقراء منها نصيباً،ويقال: الدنيا دول، أي تنتقل من قوم إلى آخرين، ثم عنهم إلى غيرهم، ويقال: دال له الدهر بكذا إذا اِ نتقل إليه،والمعنى أن أيام الدنيا هي دُ ول بين الناس لا يدوم مسارها ولا مضارها، فيوم يحصل فيه السرور له والغم لعدوه،ويوم آخر بالعكس من ذلك، ولا يبقى شيء من أحوالها ولا يستقر أثر من آثارها "[٢٧]

---

٢٥ – علي آيت أوشان :السّياق و النص الشعري من البنية إلى القراءة، دارالثقافة للنشر والتوزيع (الدار البيضاء المغرب) ،ط ١– ٢٠٠٠– ص ١١.

٢٦ – آل عمران – آية ١٤٠.

٢٧ – الرازي : تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، دار الفكر (بيروت، لبنان)، دط – دت– المجلد ٥– الجزء ٩– ص ١٦.

وورد لفظ دولة في قوله تعالى :

" مَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ". [٢٨]

وكذا قال " أبو عبيدة ": " الدُّولة اسم الشيء الذي يُتداول. والدَّولة الفعل. ومعنى الآية: فعلنا ذلك في هذا الفيء، كي لا تقسمه الرؤساء والأغنياء والأقوياء بينهم دون الفقراء والضعفاء "[٢٩]

ولقد ورد لفظ التداولية بمعناه اللغوي أيضا في قوله تعالى:

﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقاً مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ "[٣٠] أي لا تلقوا بأموالكم إلى الحكام لتأكلوها بالتحاكم، فتدلوا من الإدلاء و"الإدلاء الإلقاء" أي إلقاء الأموال إلى الحكام، وفي الأساس أدليت دلوي في البئر أرسلتها ودلوتها نزعتها ومن المجاز دلوت حاجتي طلبتها ودلوت به إلى فلان تشفّعت به إليه وأدلى بحجّته أظهرها وأدلى بمال فلان إلى الحكام رفعه "[٣١] أي ؛ أرسله إلى الحكام.

نلاحظ مما سبق في هذا المجال أن لفظ " التداولية " ومشتقاته اِستعمل في هذه الآيات ، بمعنى تغُّير حال القوم من حال إلى حال، أو اِنتقال الملك من قوم إلى قوم، أو التعاقب والتناوب على أمر ما، وكل هذه المعاني نلمس من خلالها عدم الثبوت

---

٢٨ – الحشر – آية ٨ .

٢٩ – القرطبي : الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: عبد العليم البردوني، دم، دط – ١٩٦٣–الجزء ١٨ – ص١٩.

٣٠ – البقرة – آية ١٨٨.

٣١ – شهاب الدين ابن الخفاجي : عناية القاضي وكفاية الراضي، ضبطه وأخرجه: عبد الرزاق المهدي، منشورات علي بيضون، دار الكتب العلمية (بيروت، لبنان)، ط ١٩٩٧ ،١ ، الجزء ٢، ص ٤٧٦.

والاستقرار والتحول كما هو الأمر بالنسبة للغة، حيث تنتقل من المتكلم إلى السامع في سياق ما يمكن أن يُفهم أو يُؤوّل إلى عدة معاني وبذلك يكون المعنى غير ثابت ومتحوّل وغير مستقر بين باثه (المرسل) ومتلقيه (المستقبل) .

هذا ما ورد في معاجمنا العربية وبالقرآن الكريم حول معنى التداولية لغويا وسنعرض الآن معنى اللفظ بالمعاجم الأجنبية وهل هناك فرق بين المعنى اللفظى والاستعمال اللغوي .

التداولية اصطلاحا:

إن التداولية بمفهومها الحديث قد جذبت انتباه العديد من الدارسين والباحثين في أواخر القرن العشرين وبداية القرن الواحد والعشرين وتضارُب الآراء مرجعه اختلاف المذاهب ووجهات النظر من ناية ولأنها تدخل في العديد من العلوم كاللسانيات الحديثة والفلسفة والمنطق وعلم الاجتماع والسيميائية من ناحية أخرى وقد أشارت إلى ذلك " فرانسواز أرمنيكو "Françoise Armingaud " في قولها : " ليست التداولية درسا منكفئا على نفسه، فهي تصدر مفاهيمها في إتجاهات متعددة... بل تتدخل في قضايا كلاسيكية داخلية للفلسفة، فهي تلهم الفلاسفة... ونكاد نرى جيدا، على العكس من ذلك، إلى أي حد تكون التداولية مفترق طرق غنية لتداخل- اختصاصات اللسانيّين، المناطقة، السيميائيّين، الفلاسفة، السيكولوجيّين و السوسيولوجيّين فنظام التقاطعات هو نظام للالتقاءات و للافتراقات". [٣٢]

لذا يتوجب علينا عرض بعض المفاهيم كي نتوصل لضبط المصطلح والوقوف حول ماهيته محاولين التقريب لوجهات النظر للعلماء والمفكرين واللسانيين وتقديم خلاصة تلك الأقوال.

٣٢- فرانسواز أرمينكو : المقاربة التداولية، ترجمة : سعيد علوش، مركز الإنماء القومي (الرباط)، ١٩٨٦, ص ١٠, ١١.

التداولية اصطلاحا عند العرب :

لا يمكن لأحد أن ينكر جهود العرب رغم قلتها في مجال البحث التداولي يقول " طه عبدالرحمن " سنة ١٩٧. " وقع اختيارنا منذ ١٩٧.على مصطلح التداوليات مقابلا للمصطلح الغربي "براغماتيقا" ؛ لأنه يوفي المطلوب حقه , باعتبار دلالاته على معنيي الاستعمال ,والتفاعل معا *,ولقي منذ ذلك الحين قبولا من لدن الدارسين الذين أخذوا يدرجونه في أبحاثهم"*[٣٣]

ومن هذا المنطلق يُعرّف " طه عبد الرحمن" التداولية في قوله: " التداول عندنا متى تعلق بالممارسة التراثية، هو وصف لكل ما كان مظهرا من مظاهر التواصل والتفاعل بين صانعي التراث من عامة الناس,وخاصتهم، كما أن المجال، في سياق هذه الممارسة، هو وصف لكل ما كان نطاقا مكانيا وزمانيا لحصول التواصل والتفاعل، فالمقصود ب" مجال التداول " في التجربة التراثية، هو إذن محل التواصل والتفاعل بين صانعي التراث.[٣٤]

ومن المؤلفات التي تعتبر إنجازا تداوليا مؤلف الباحث المغربي أحمد المتوكل وعنوانه " الوظائف التداولية في اللغة العربية ورؤيته أن " إنتاج اللغويين العرب القدماء إذا اعتبر مجموعه (نحوه وبلاغته وأصوله وتفسيره) درس لغوي وظيفي يشكل مرحلة من أهم مراحل تطور المقاربات الوظيفية في الفكر اللساني ".[٣٥]

٣٣- طه عبد الرحمن : في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي (الدار البيضاء، المغرب) (بيروت، لبنان) ، ط٢- ٢٠٠٠ ، ص ٢٧.

٣٤- طه (عبد الرحمن): تجديد المنهج في تقويم التراث، المركز الثقافي العربي(الدار البيضاء، المغرب)، (بيروت ,لبنان) ط٢ – ٢٠٠٥- ص٢٤٤.

٣٥- أحمد (المتوكل): اللسانيات الوظيفية: مدخل نظري، منشورات عكاظ (الرباط)، ١٩٨٧ ، ص ٩.

أما الدكتور مسعود صحراوي فيقول عن التداولية ؛ " فالتداولية ليست علما محضا بالمعنى التقليدي، يكتفي بوصف وتفسير البنى اللغوية ويتوقف عند حدودها وأشكالها الظاهرة، ولكنها علم جديد للتواصل يدرس الظواهر اللغوية في مجال الاستعمال ويدمج من ثم مشاريع معرفية متعددة فيدراسة ظاهرة التواصل اللغوي وتفسيره".[٣٦] وجملة القول مما سبق يري الباحث أن التدولية عند العرب تتعلق بالاستعمال اللغوي مع مشاركة البيئة والعلوم المختلفة كي يحدث التواصل الجيد دون خلل .

٣٦ – مسعود صحراوي :التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار الطليعة، بيروت، ط١– ٢٠٠٥– ص١٦.

المصادر والمراجع

يوسف عز الدين (الدكتور) : الرصافي يروي سيرة حياته – دار المدى للثقافة والنشر ط١ – ٢٠٠٤ .

خير الدين الزركلي : الأعلام– دار العلم للملايين– بيروت لبنان– ط٨ – ١٩٨٩– جـ٧–

الحسيني هاشم : معروف الرصافي شاعر الحرية والعروبة . طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر – ٢٠٠٦ .

بدوي طبانة : الرصافي حياته وبيئته وشعره – مكتبة الأنجلو المصرية – مصر – ط٢

خير الدين الزركلي : الأعلام ج٧ .

معروف الرصافي – كتاب دفع الهجنة في ارتضاخ اللكنة – مكتبة نور – ٢٠٢١م –

معروف الرصافي– كتاب نفح الطيب في الخطابة والخطيب– مطبعة الفكر القرآني – ط١ – ٢٠٢١م

محمد أمين زكي : مشاهير الكرد وكردستان – مطبعة التفيض الأهلية – بغداد– ١٩٤٥م – ط٢–

حنا الفاخوري :الموجز في الأدب العربي وتاريخه– دار الجيل بيروت – د ت – جـ ٤.

محمد عبد المنعم خفاجي : دراسات في الأدب العربي الحديث ومدارسه – دار الجيل بيروت – ط ١ – ١٩٩٢ م– ج١ – ص ١٥١

عبد الوارث الحداد: معروف الرصافي بين الأصالة والمعاصرة – مطبعة السعادة – دت.

مصطفى علي : الرصافي صلتي به – جامعة الدول العربية – القاهرة– ط١ – ١٩٥٤.

ريم فرحان عودة المعايطة : براجماتية اللغة و دورها في تشكيل بنية الكلمة،– دار اليازوري . الدار العلمية للنشروالتوزيع– لبنان – دط– ٢٠٠٨.

الجوهري – الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية – تحقيق أحمد عبدالغفور عطا – دار الآفاق للنشر – ط ٤– ١٩٨٧م– مادة (د– و– ل).

أحمد ابن فارس : مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل (بيروت، لبنان)، دط، دت، المجلد ٢- ص ٣١٤.

الفيروز آبادي : القاموس المحيط، تحقيق: أبو الوفا نَصرُ الهُوريني المصري الشافعي دار الكتاب الحديث (القاهرة، الكويت، الجزائر)، دط، دت.

خليفة بوجادي : في اللسانيات التداولية: مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة للنشر والتوزيع (العلمة، الجزائر)، ط ١, ٢٠٠٩ .

علي آيت أوشان :السّياق و النص الشعري من البنية إلى القراءة، دارالثقافة للنشر والتوزيع (الدار البيضاء المغرب) ،ط ١- ٢٠٠٠.

الرازي : تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، دار الفكر (بيروت، لبنان)، دط – دت- المجلد ٥.

القرطبي : الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: عبد العليم البردوني، دم، دط – ١٩٦٣- الجزء١٨ .

شهاب الدين ابن الخفاجي : عناية القاضي وكفاية الراضي، ضبطه وأخرجه: عبد الرزاق المهدي، منشورات علي بيضون، دار الكتب العلمية (بيروت، لبنان)، ط ١٩٩٧ ،١ ، الجزء ٢.

فرانسواز أرمينكو : المقاربة التداولية، ترجمة : سعيد علوش، مركز الإنماء القومي (الرباط)، ١٩٨٦

طه عبد الرحمن : في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي (الدار البيضاء، المغرب) (بيروت، لبنان) ، ط٢- ٢٠٠٠.

.....: تجديد المنهج في تقويم التراث، المركز الثقافي العربي(الدار البيضاء، المغرب)، (بيروت ,لبنان) ط٢ – ٢٠٠٥.

مسعود صحراوي :التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار الطليعة، بيروت، ط١- ٢٠٠٥.

Arabic Pragmatics for Ma'arouf Al-Rasafy

Abstract

This research which is entitled "Arabic Pragmatics for Ma'arouf Al-Rasafy", consists of an introduction. In this introduction, I discussed eloquence of Arabic language, its development, and the diversity of its branches over time. Then, I reviewed rationale for choosing this topic of research. Such reasons include the researcher's hope to tackle and delve into this discipline and field, scarcity of studies interested in applying the theory of speech acts to poetry on one side, and to enrich our cognitive and Arabic academia. I defined pragmatics among the Arabs according to what was mentioned in the use of the Arabs and presented the verses of the Qur'an in which the origin of the word pragmatics was mentioned, which is the subject of states, followed by a presentation of the projection of this pragmatic concept into the poetry of Al-Rasafy and a presentation of his previous studies and what distinguished the research from those studies that preceded it, with a mention of the method followed in it, which is The descriptive and analytical approach that is appropriate to the topic. Then, the researcher presented the introduction of the poet Marouf Al-Rasafy, in which he explained his upbringing, culture, and influence on his society, along with a collection of his poems that highlight the extent of his talent in poetry, then talking about the phenomenon of pragmatics in language and terminology, and explaining the most important contributions of ancient Arab scholars such as Sibawayh, Al-Jurjany, and Al-Sakaky. The researcher also shed light on mentioning the most important contributions of contemporary linguists such as Ahmed Al-Mutawakkil and Marouf Sahrawi, as well as mentioning the most important references and various sources between the ancient, the Mediterranean, and the modern in the conclusion.

Keywords : Speech acts, poetry of Ma'arouf Al-Rasafy, pragmatics